

رائز القدم السوداء

أ. بوصفصاف زبير

مدخل

يعتبر اختبار مغامرات القدم السوداء من الاختبارات تفهم الموضوع التي تستعمل كثيرا مع الأطفال بهدف استكشاف عناصر شخصيتهم. وضع لويس Corman هذا الاختبار ما بين سنة 1959 و 1961 بفرنسا بعد اضطراره على عدة اختبارات نذكر منها اختبار تفهم الموضوع لBellack و خاصة اختبار Blacky Pictures Test (1950 Blum) الذي يحكي مغامرات كلب اسود يسمى بلاكي. اختار Corman و فريقه خنزير صغير نظرا لانتشار كما يقول Chagnon (2021) الرسوم المتحركة لوالث ديزني في ذلك الوقت و خاصة تلك المتعلقة بالخنزير الثلاثة. ما يميز هذا الخنزير هو البقعة السوداء التي ترافقه. اعتمد Corman على النظرية التحليلية الفرويدية و مراحل النمو خاصة (المرحلة الفمية ، المرحلة الشرجية و المرحلة القضيبية بالإضافة الى المرحلة الأوبديية).

ان ما يميز اختبار مغامرات القدم السوداء عن باقي الاختبارات الموضوعية يتمثل في الحرية التي يتمتع بها المفحوص خلال كل مراحل اجراء الاختبار و خاصة في اختيار الصور التي يريد ان يروي قصة انطلاقا منها.

1-تعريف الاختبار

يشمل اختبار القدم السوداء 18 بطاقة لحيوانات اليفة الخنزير في الشكل الأصلي للاختبار و الخروف بالنسبة للمجتمعات التي تدين بالإسلام و اليهودية. يستعمل هذا الاختبار مع الأطفال من سن 4 الى 10 سنوات. و يمكن ان يستعمل مع الأطفال الأكثر سنا مع تقبل ظروف و معاني الاختبار.

ككل الاختبارات تفهم الموضوع تشمل البطاقات وضعيات و شخصيات مختلفة و تحمل كل بطاقة معنى ظاهري و معنى كامن.

-المعلف

- المعنى الظاهر

يوجد خروفين كبيرين و خروفين صغيرين نائمين في حين ان الخروف القدم السوداء يتبول قي المعلف الكبير.

-المعنى الكامن

بتعلق الأمر بموضوع السادية الشرجية و العدوانية المتوجهة نحو الوالدين.

-القبلة

- المعنى الظاهر

خروفان كبيران يتبادلان القبل و خلف الحائط خروف صغير.

-المعنى الكامن

مك: موضوع اوديبى

-المعركة

- المعنى الظاهر

خروف القدم السوداء و خروف ابيض يتناهشان بشراسة ، في حين خروف ابيض اخر بيتعد عليهما. و يتجه نحو خروفان كبيران يظهران في الخلف.

-المعنى الكامن

موضوع سادي فمي متعلق بالمنافسة مع الأخوة.

-العربة

- المعنى الظاهر

خروف القدم السوداء مستلقي على القش. و داخل الفقاعة شخص يدفع في خروف ابيض داخل العربة . و يشاهد خروفان كبيران و اخرين صغيرين هذا المشهد.

-المعنى الكامن

موضوع سادي حيث ان العقوبة ترجع على الذات. تشمل ايضا موضوع قلق الانفصال و/او العدوانية داخل الأسرة.

- المعزاة

- المعنى الظاهر

يرضع خروف القدم السوداء من معزاة.

-المعنى الكامن

موضوع الأم البديلة

-الرحيل

- المعنى الظاهر

خروف صغير في الطريق

-المعنى الكامن

يعبر عن الرحيل و يرتبط كذلك بقلق الانفصال او التبعية.

-التردد

- المعنى الظاهر

يوجد على يسار الصورة خروف كبير ذو بقعة سوداء يرضع منه خروف ابيض صغير. و في الجهة اليمنى خروف ابيض كبير و خروف صغير يشربان من المعلق. و خروف القدم السوداء يتوسط الطرفين.

-المعنى الكامن

موضوع الازدواجية او المنافسة بين الإخوة و الاقصاء.

-الوزة

- المعنى الظاهر

على اليسار امسكت وزه ذيل خروف صغير، و خروف صغير اخر ينظر الى المشاهد.

-المعنى الكامن

عدوانية مع العقوبة ترجع على الذات او قلق الخفاء.

-الألعاب القذرة

- المعنى الظاهر

بالقرب من كومة من الروث، يلعب خروفين صغيرين في الماء القذر. احدهما يقذف الماء في وجه الخروف الكبير و خروف ابيض يشاهد عن بعد.

-المعنى الكامن

سادية شرعية او عدوانية شرعية اتجاه الوالدين .

-الليل

- المعنى الظاهر

زربية ينيها القمر في الليل حيث يفصل لوحة جزئين منها: خروفين كبيرين نائمين و في الجهة الأخرى خروفين صغيرين نائمين كذلك في حين خروف ثالث واقف امام اللوحة.

-المعنى الكامن

موضوع أديبي و الفضول الجنسي.

-الحمل

- المعنى الظاهر

ثلاث مواليد يرضعون في الأم التي تشرب من المعلف الذي يملأه المزارع. في الجهة المقابلة ثلاثة خرفان صغيرة تنظر من خلال اللوحة الفاصلة و القدم السوداء في وسطهما.

-المعنى الكامن

الولادة و التنافس بين الأخوة.

-حلم الأم

- المعنى الظاهر

و فيها يوجد الخروف الكبير ذو البقعة السوداء.

-المعنى الكامن

مثالية الأنا او الحب مع الموضوع مع الأم.

-حلم الأب

- المعنى الظاهر

و فيها يوجد خروف كبير ابيض يظهر من خلال الفقاعة.

-المعنى الكامن

مثالية الأنا او الحب مع الموضوع مع الاب.

-الرضاعة 1

- المعنى الظاهر

يرضع خروف القدم السوداء خروفا كبيرا ذو بقعة سوداء.

-المعنى الكامن

موضوع فمي و علاقة مفضلة مع الام.

- الرضاعة 2

- المعنى الظاهر

يرضع خروف القدم السوداء خروفا كبيرا ذو بقعة سوداء و خروفان ابيضان يركضان نحوهما.

-المعنى الكامن

موضوع فمي و العلاقة التنافسية ما بين الأخوة.

-الحفرة

- المعنى الظاهر

في الظلام ، يوجد خروف القدم السوداء في حفرة ماء.

-المعنى الكامن

الوحدة و الإقصاء والعقاب.

-السلم القصير

- المعنى الظاهر

و فيها يظهر خروف القدم السوداء محمولا من طرف خروف كبير ، هذا الاخير وافقا امام الشجرة التي يوجد بها عش عصافير صغيرة.

-المعنى الكامن

علاقة مع الاب او موضوع الدعم و المساندة.

-الساحرة

و تظهر هذه البطاقة ساحرة بيدها عصا سحرية ينظر اليها خروف القدم السوداء الذي يقدم اليها ثلاثة امانى يرغب في تحقيقها. للتذكير تقدم هذه البطاقة في نهاية الاختبار.

اهم المواضيع البطاقات

تطرق Corman الى المواضيع التي تظهر في البطاقات نذكر منها :

-العدوانية التي تظهر في كل المراحل و العدوانية الشرجية خاصة.

-التنافس بين الأخوة و المنافسة الأوديبية.

-التبعية و الاستقلالية .

-الشعور بالذنب و موضوع الاكتئاب ، موضوع البقعة السوداء.

-موضوع الجنس المعكوس او المنقلب و الذي يظهر من خلال الاسقاط و التقمص للقدم السوداء ذو جنس معاكس لجنس المفحوص.

-الأب الحاضن او الذي يتكفل و يغذي و الذي يظهر انطلاقاً من اللوحة التمهيدية (الفرضيات : التشابه في البقعة و كذلك خلط في الصور الوالدية و تشوه للصورة الام.

-الأم المثلي و المرتبط بتأثير احباط الأم و يظهر من خلال صورة الأم البديلة (العنزة).

2-تطبيق الاختبار

تشمل اجراء اختبار القدم السوداء 5 مراحل اساسية و هي:

المرحلة الأولى

يقدم المختص النفسي البطاقة التمهيدية للطفل حيث يظهر فيها خروفان كبيران واخران صغيران و خروف القدم السوداء. يجب على الطفل ان يتعرف عليه. تبقى هذه الصورة امام اعين الطفل طوال سيرورة اجراء الاختبار.

التعليمية : (باسمة المنلا 1995) هذه الصور تظهر فيها مغامرات خروف صغير له قدم سوداء. انظر (نقدم له البطاقة التمهيدية). هاهو خروف القدم السوداء...انه الخروف الصغير الذي تراه هنا في العنوان، اترى ما مكتوب هنا (نقرا له العنوان : مغامرات القدم السوداء). لماذا نسميه خروف القدم السوداء؟

في هذه الصور لمغامرات خروف القدم السوداء لا يوجد قصة مكتوبة ، نطلب منك ان تخبرنا بالقصة بنفسك، سنقول لي اذا كان خروف القدم السوداء ذكر ام انثى، و كم عمره...ماذا سنقول عنه ذكر ام انثى و ما عمره...

-والاثنتان الصغيران الأبيضان، ماذا نقول عنهما: هل هما انثيان ام ذكران، هذا اولا (نشير اليه بالأصبع) ، ثم هذا. ماهو العمر الذي سنعطيه لكل منهما؟ هل هما اخوان ام اختان ل خروف القدم السوداء ام انهما من عائلة اخرى؟

-والخروفان الكبيران من هما؟ اولا الخروف الكبير الذي لديه بقعة سوداء؟ و الخروف الابيض الآخر) لا يجب توجيه المفحوص او الايحاء بانهما والدي خروف القدم السوداء: هما اهل من؟

تسجيل اجابة المفحوص و تعليقاته

المرحلة الثانية

و فيها يقدم المختص النفسي مجموع البطاقات (ماعدا الساحرة) و يطلب منه ان يختار البطاقات التي يريد ان يروي من خلالها قصة و يضع البطاقات التي يرفضها جانبا.

التعليمية : اخبرني عن مغامرات القدم السوداء، حدد لي الصورة التي ستبدأ بها اولا.

يجب ان يتمتع الطفل بكل الحرية في رواية القصة و يمكن للمختص النفسي ان يشجعه مثلا اين الصورة التي ستخارها او لا ؟ و مع الأطفال المترددين يمكن له ان يطلب منه : احك لي المزيد .. هل ترى شيء اخر

بعد رواية القصة يطلب المختص النفسي من المفحوص اذا اراد ان يستعمل البطاقات المرفوضة في قصته ام لا .

يجب تسجيل ارقام البطاقات التي يستعملها الطفل و كل ما يقوله و يعبر عنه . نفس الشيء مع البطاقات الأخرى.

المرحلة الثالثة

و يطلق عليها مرحلة الاختيارات-التقمصات. و تعتبر مرحلة مهمة في الاختبار حيث يقول Corman (1975) انه من خلالها يمكن للمختص النفسي ان يقف و يحدد عناصر الصراع النفسي: من جهة النزوات اللاشعورية و من جهة اخرى الميكانيزمات الدفاعية التي يلجأ اليها الأنا. تطرق Corman الى 3 انواع من التقمصات في هذا الاختبار : التقمص للواقع (مبدأ الواقع) و بقصد به التقمص الى القدم السوداء الذي اختاره انطلاقا من البطاقة التمهيدية و هي تعبر عن تحمل البطل لأفعاله و توجهاته (6 الى 7 من بروتوكول القدم السوداء). حسب Corman (1975) كلما كان هذا التقمص كبيرا كلما يعبر عن قوة الأنا.

التقمص للرغبة و هو تقمص تجنبى و دفاعى حيث يرفض المفحوص و ضعيفة القلق و لكن يريد ان يعيش مبدأ اللذة و الذي يظهر سواء على مستوى البطاقة التمهيدية (التقمص للقدم الأسود انثى مثلا) او في البطاقات من خلال التقمص للخرفان الأبيضان لما يوجد خروف القدم السوداء في وضعية عدوانية او ليبيدية. تبين هذه التقمصات عدم قدرة المفحوص على تحمل توجهاته.

التقمص للأنا الأعلى و التي تظهر من خلال تقمص المفحوص للصور الوالدية من خلال البطاقات. يقول Corman (1975) ان التقمص للوالدين يكون بناءا للطفل لما يشمل التقمص للوالد من نفس الجنس.

كما توجد وضعية اخرى تسمح للمفحوص بعدم التقمص لأي شخصية في مختلف الوضعيات و المشاهد و التي تعبر عن حدة القلق التي يعيشها المفحوص في تلك الصورة. في حالة عدد كبير منها في البروتوكول عصاب القلق.

يقوم المختص النفسي بجمع كل البطاقات على المكتب و يطلب من المفحوص ان يختار الصور التي اعجبته او احبها و يضعها على يمينه و البطاقات غير المرغوبة على يساره. بعد ذلك نقوم ببسط الصور

التي احبها على المكتب و نطلب منه ان يحدد لنا الصورة التي احبها اكثر من كل الصور ؟ و لماذا؟ و من يريد ان يكون في الصورة ؟

و نستمر في العملية حتى ينتهي الطفل مع كل الصور التي يحبها و ننقل الى الصور التي رفضها او لم يفضلها و نقوم بنفس العملية، اي الصورة التي لم يحبها اكثر من الصور المرفوضة و لماذا؟ و من يريد ان يكون في الصورة ؟

التقمص المرن يشير الى التقمص المتعدد و ليس التقمص المتصلب (نفس الاستجابة لمختلف الوضعيات و التي يمكن ان تؤدي الى توقف المفحوص.

المرحلة الرابعة

و تعتبر مرحلة التحقيق حيث يضطلع الطفل على المثيرات التي لم يراها او الغاها و حافظ على ذلك خلال كل الاختبار في البطاقات خاصة المعلف او الالعب القذرة. ماذا ترى هنا ؟ ماذا سيحدث؟

المرحلة الخامسة

و فيها يطلب من الطفل الإجابة على مجموعة من الأسئلة: من هو الخروف السعيد و لماذا ؟ الاقل فرحة ، اللطيف و الأقل لطافة و لماذا ؟ في عائلة خروف القدم السوداء، هل يفضل الأب احدا منها ؟ و الام هل تفضل احدا منها؟ و خروف القدم السوداء هل يفضل هل احد؟ و الخروفان الصغيران من يفضلان؟. ماهو مصير القدم السوداء و ما رأيه في بقعته السوداء .

نقدم له بعدها بطاقة الساحرة و التي تستجيب لثلاث امنيات للخروف القدم السوداء.

يستغرق اجراء هذا الاختبار ما بين 60 الى 90 دقيقة و يمكن اجراءه في حصتين.

3-التحليل

قبل التطرق الى تحليل مضمون البطاقات يجب التذكير بوجوب تحليل عملية اجراء الاختبار من علاقته مع المختص النفسي و تعامله مع البطاقات و تعبيره اللفظي و غير لفظي ... الخ لأنها تحمل معلومات مهمة تساعد المختص النفسي على تحليل الاختبار.

بعد ذلك و بهدف تسهيل عملية التحليل اقترح الباحثون استعمال جدولا يضم 3 اعمدة يتم فيها تنظيم المعطيات المحصل عليها كمايلي:

-يتضمن العمود الأول البطاقات التي قام المفحوص بسردها حسب ترتيبها في القصة و نسجل (البطاقة مقبولة) و البطاقات غير المقبولة.

- يسجل المختص النفسي في العمود الثاني إذا كانت البطاقة محبوبة او غير محبوبة من طرف المفحوص.
- يشمل العمود الثالث تقمص المفحوص للشخصيات في كل البطاقات.

التحليل

يشمل التحليل العناصر (2007 Costes) التالية:

- البطاقة التمهيدية

يجب التعرف على وصف المفحوص للخرفان في البطاقة التمهيدية و مقارنتها بالأسرة الحقيقية من خلال التعرف على الجنس و السن خاصة.

-تحليل مواضيع البطاقات

التعرف على البطاقات التي قام المفحوص بسرد قصتها و منه التعرف على سيرورة و ديناميكية اختياره للبطاقات . للتذكير يكتسي اختيار البطاقة الأولى اهمية كبرى في تحليل الاختبار لأنه يعبر عن مدى استثمار المفحوص لها و اهمية موضوع البطاقة بالنسبة له خاصة في اقتراح الفرضيات التفسيرية. يهدف تحليل البطاقات المختارة الى الكشف خاصة عن :

-المواضيع الصريحة و المواضيع المتخفية

تشمل المواضيع الصريحة البطاقات المختارة و المحبوبة و التي يتقمصها المفحوص فهي تعبر عن الاتجاهات التي لم تخضع الى المراقبة من طرف الأنا. في حين ان البطاقات التي لم يتم اختيارها ولم يحبها المفحوص و لم يتقمص شخصية البطل فيها لأنها تعبر عن قمع المفحوص لها لأنها مرتبطة بإشكالية المفحوص. في حين ان اختيار بطاقة معينة و سرد قصتها ثم بعد ذلك عدم تفضيلها او عدم التقمص لشخصية القدم السوداء تشير الى تناقض و ازدواجية عند المفحوص و التي تعبر عن الصراع بين هذه الاتجاهات و الدفاعات و الذي يأخذ اشكال مختلفة نذكر منها:

- المواضيع الاصلية التي تبتعد عن الموضوع الظاهري.

-الإفراط في التهوين لبطاقة معين او موضوع معين ثم بعد ذلك رفضه .

-انكار موضوع معين.

-رفض رؤية شخصيات معينة مثل الوالدين في البطاقات التي تشير الى موضوع اوديبى.

-إزاحة الوضعية على شخصيات اخرى .

-رفض التقمص للشخصية في البطاقة.

وبغرض تسهيل عملية تحليل البطاقات اقترحت المنلا (1995) مجموعة من القواعد نذكر منها:

1-قاعدة ابتكار النزوات و فيها يقدم المفحوص قصة مختلفة عن الموضوع الظاهري لأنه مرتبط بإشكالية المفحوص.

2-قاعدة اللوحات المرفوضة و فيها يهتم المختص بغياب بطاقات معينة و الموضوع المرتبط بها. و لكن يجب التأكد من كون هذه البطاقات شائعة الرفض بين الأطفال ام ان المفحوص هو الذي رفضها. للتذكير يشمل الرفض اشكال مختلفة : رفض البطاقة و عدم سرد قصة عنها ثم بعد ذلك تفضيلها في المرحلة الثانية من اجراء الاختبار و يمكن ان يختار المفحوص البطاقة في البداية ثم بعد ذلك تصبح غير محبوبة في مرحلة التفضيلات و الشكل الآخر هو الرفض الثلاثي (السرد و التفضيل و التقمص) و هذا سلوك منطقي.

3-قاعدة التقمصات المسيطرة و فيها يتم تقييم اهم تقمصات المفحوص لشخصيات البطاقات (كيفي و كمي). ان التقمص للبطل (خروف القدم السوداء) مهما يكون موضوع البطاقة (عدوانية...الخ) يعبر عن تقبل المفحوص للاتجاهات الموجودة في كل بطاقة و تحملها حتى و لو تعلق الأمر بوضعية يكون فيها الضحية. ان التقمص المفرط للقدم السوداء يشير كذلك الى انطواء نرجسي و الذي يشير الى ضعف الأنا. اما عدم التقمص للبطل يعبر عن قلق مرتبط بموضوع البطاقة ، يتعلق الأمر بتقمص تجنبي (الخروف الأبيض مثلا) او تقمص دفاعي من خلال التقمص للأم البديلة (المعزاة) او التقمص للمعتدي من خلال التقمص لشخصية تمنع اشباع رغبات المفحوص مثل التقمص للأم او الوزرة او حتى المزارع الذي يضع الخرفان في العربة...الخ او التقمص لبعض العناصر مثل القمر...الخ. كما يجب الانتباه الى التقمص الى الوالد من الجنس الآخر و الذي يعبر عن اوديب عكسي. من جهة اخرى ان عدم التقمص لأي شخصية في القصة يعبر عن تثبيط المفحوص.

تقدم (Costes 2007) بعض المعايير الكمية للتقمصات في كل البروتوكول :

- القدم السوداء : 6 الى 7

اذا تجاوزت التقمصات 10 للقدم السوداء فهذا يشير الى تقمص نرجسي.

- التقمصات التجنبية

-الخروفان الابيضان ما بين 3 و 4 .

-للشخص القوي : 1

- عدم التقمص لأي شخص :2

- التقمص للوالدين : الأب : 2 و الأم :2

-قاعدة الموضوع المسيطر ويعبر عن الموضوع الذي يظهر بصورة كثيفة و في بطاقات مختلفة و هذا ما يعبر عن علاقته بإشكالية المفحوص.

-قاعدة الدفاع الأقوى

و فيها يتم الانتباه خاصة الى المواضيع الخفية و التي تتدخل فيها الدفاعات بصورة واضحة نظرا للقلق الذي ظهر عند المفحوص.

-قاعدة الصدى العاطفي للوحة و تعبر عن العاطفة التي ترافق موضوع معين سواء تعلق الأمر بعاطفة ايجابية (الفرح) او سلبية (الحزن).

-قاعدة اللوحة الأولى المختارة لسرد القصة لأن اختبارها لم يكن اعتباطيا و لكن لعلاقتها بإشكالية المفحوص.

-قاعدة اللوحة الأكثر دلالة و التي تفرض نفسها انطلاقا من القواعد السابقة و تظهر كذلك في الأسئلة الموجهة للمفحوص و كذلك في الأمنيات الموجهة للساحرة.

-قاعدة اللوحة الأخيرة المختارة

ترى المنلا (1995) ان البطاقة الأخيرة في السرد تحمل معاني و دلالات حيث تعبر عن اسلوب المفحوص في التعامل مع صراعاته و اشكاليته.

- تحليل الأسئلة النهائية و الأماني المقدمة للساحرة

ان تحليل الأسئلة النهائية يسمح بالتعرف عن طبيعة العلاقات الأسرية فمثلا الأسئلة المتعلقة بالخروف السعيد تشير الى الاستجابة الى رغبات الشخصيات من عدمها و التي تساهم في التعرف عن احباط المفحوص او المنافسة ما بين الأخوة... الخ . كما ان الأسئلة المرتبطة بالشخصية اللطيفة في القصة فتهدف الى الكشف عن القيمة التي تأخذها شخصية القدم السوداء : هل يتعلق الأمر بقيمة ايجابية او على العكس من ذلك قيمة سلبية.

فيما يتعلق بالأمانى التي يقدمها المفحوص للساحرة في الأخيرة فهي تحمل معاني مختلفة حيث يمكن ان تشمل اشباع لرغبات طفولية مثل الحصول على حلويات او تتضمن مثلاً طلب الحصول على الرعاية و الحب او التعبير عن العدوانية (ضد من؟) او التعويض... الخ. ان طبيعة الأمانى مرتبطة بصورة كبيرة بالبروتوكول و اشكالية المفحوص حيث يمكن ان تأكد فرضيات المختص او تنفيها.

بصفة عامة يسمح تحليل اختبار القدم السوداء بالتعرف على عناصر شخصية المفحوص و صراعاته.